



الحس المأساوي في ديوان "أغنية تشبهني": لطيفة حساني وأثره في اللغة الشعرية  
*Tragic sense in the diwan "OghniaTochbihoni" for: LatifaHassani and his  
 influence on poetic*

باديس لهويميل\*

جامعة محمد خيضر بسكرة  
 (الجزائر)

b.lehouimel@univ-biskra.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الارسال: 2024/02/07	<p>تقدم الدراسة قراءة في ديوان "أغنية تشبهني" للمبدعة لطيفة حساني، نهدف من خلالها للكشف عن حسنها المأساوي الذي ساد في أشعارها هنا، وأثره في لغتها الشعرية ومدى تعبيرها عن الواقع الذي تعيشه ونعيشه.</p> <p>وقد توصلنا إلى نتائج أهمها أنّ أشعار لطيفة هنا معبرة بقوة عن روح الشاعرة ونفسياتها التي ترفض الواقع المرير الذي يحيط بها، فديوانها هذا جاء صرخة منها، تعبر بنبرة حزينة عن حزن دفين تعاشه، وتستجدي حلما يداوي جراحها، فأشعارها تعبر عن صرخة انثى تشكو اضطرابا وتشتتا، وتبحث عن استقرار وطمانينة بين أشعارها.</p>
تاريخ القبول: 2024/05/01	
الكلمات المفتاحية: <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ الحس المأساوي</li> <li>✓ أغنية تشبهني</li> <li>✓ اللغة الشعرية</li> <li>✓ الحزن</li> </ul>	
Article info	Abstract :
Received 07/02/2024	<p><i>The study presents a reading in the diwan "OghniaTochbihoni" by the creator LatifaHassani, through which we aim to reveal her tragic sense of poetry here, its impact on her poetic language and how she expresses the reality she lives and lives.</i></p> <p><i>We have come to terms, the most important of which is that the gentle poetry here is a strong expression of the soul of the poet and her psyche, which rejects the bitter reality that surrounds her. This statement is a cry from her, expressing in a sad tone the sadness of his living, and begging for a dream that will heal her wounds.</i></p>
Accepted 01/05/2024	
<b>Keywords:</b> <ul style="list-style-type: none"> <li>✓ Tragic sense:</li> <li>✓ OghniaTochbihoni</li> <li>✓ Poetic language:</li> <li>✓ Grief</li> </ul>	

## 1. مقدمة

تحاول هذه الورقة قراءة ديوان من دواوين شاعرات بسكرة اللاتي عبّرن عن الحس الشعوري والمأساوي في أشعارهن، ولطيفة حساني إحدى الشاعرات الجزائريات اللاتي قرأن الواقع بعين الشعر وقدمن التزاما نحو قضايا الوطن والأمة. وتقوم هذه الدراسة وفق خطة قوامها الآتي: أولا: دلالة العنوان.

ثانيا: اللغة الشعرية في ديوان "أغنية تشبهي".

ثالثا: البنية الإيقاعية في ديوان أغنية تشبهي (البحر، الوزن، القافية...)

رابعا: الحس المأساوي بين الذات والآخر في الديوان:

فديوان أغنية تشبهي للشاعرة لطيفة حساني هو رثاء لكل ما يؤلم الذات، ويوقظ الجراح ويذرف دمع العين ولا يكفكفها، إنه صرخة ترفض الواقع المرير بنبرات حزينة بائسة تستجدي حلما يصرف أمراض النفس ويداوي جراحها، إنها صرخة أنثى تشكو الهزيمة والانكسار، وتصرخ في اضطراب وتشنت.. تبحثين أغانيها عن الاستقرار والطمأنينة التي فقدتها...

إن ديوان "أغنية تشبهي" يمثل صرخة تفجر آلام امرأة أفرغت فيه مكبوتاتها.. امرأة تقلبت عليها المواجه وتزاحمت الذكريات في خاطرها فكان الديوان رثاء للذات الأثوية المهزومة، دندنت به الشاعرة أغنيتها التي تصوّر أحوالها.. أحوال الطفلة التي تشكو يُتمها بفقدان أبيها، وأحوال المرأة العربية الأبيّة التي ما عاد يرضيها أمر العرب وما آلت إليه أوضاعهم، وأحوال المرأة الرؤوم التي تترجى مسح دموع الأطفال.

والشعر عند لطيفة حساني متنفس للروح إذا ضاقت الدنيا، واحتبست الدموع في المقلتين واسترسلت الكلمات مع وجدان الشاعرة لأداء ألحان المواجه.

## 2. دلالة العنوان:

بناء على الحس المأساوي الحاضر في ثنايا النصوص آثرنا قراءة الذات الأثوية في ديوان "أغنية تشبهي" ونبدأ بالعنوان الذي اختارته ليكون تعبيرا عن المواجه وتلخيصا للدلالات التعبيرية المتكاثفة، ومحاولة مقارنة الرؤية الشعرية الحاضرة في الديوان مع معطيات الثقافة المعاصرة، فالقارئ للديوان يقف على قصائد حدثية في معانيها ومواضيعها، ردّتها الشاعرة في تراتيل متعاقبة تصف الهموم البشرية باضطراب وتشنت، فهي تحكي واقعا ممزقا محاطا بأحلام تستجديها وذكريات تحيط بها، وواقع يكسرها...، وبين فقدان العزيزين الأب والأرض أو البلد ذات تفصح عن التشبث بالأحلام، وتستثير مراتع الآمال، وتومض في النفس نورا يللمم أشناته ويمضي نحو غدٍ يتخبّط في خبايا الرؤية والقراءة.

لقد وردت عناوين القصائد كاشفة عن شخصية هذه الأنثى التي تبدو فصيحة في كثير من الأحيان وأخرى غامضة مشتتة تبحث عن هويتها الضائعة عن عالم المثل المفقود (الحرية، الأمان، السلام).

وعنوان الديوان "أغنية تشبهي" بحث عن الذات المتخبطة في غمرات الضياع يسمع شدو الناي الحزين ويبحث عن أسرار الفردوس المفقود في ذات الشاعرة وبين ثنايا النص توارد لأفكار الغد الجديد المبعوث من رحم الأمس، تقول في قصيدة (للماء عزف آخر)(حساني، 2015، صفحة: 17) [بحر البسيط]

كالريح في لا جهات أقتفي بلدا يشكوا الضياع ومنه الكون قد ولدا.

وفي الأغنية تيهان يتشبث بمسقط رأس الشاعرة ربما هو المكان الحقيقي في مرآتها؛ إنه موطن الأمان والاستقرار وموضع اليقين والأصالة(حساني، 2015، صفحة: 17)

عقبية الوجه حلم النخيل يلبسني روحا تفتش عن طين لتنتحرا .

لم الرواحل عادت وحدها وأنا على الدروب اكتظاظ لا يرى أحدا؟

فمسار الشاعرة محاط بكل معيقات الوصول إلى الغد فهو بحث في المجهول، وهي تتخذ من الشعر سبيلا لرفض الاستسلام والبحث عن صبح جميل وأمل في الأفق، ووسيلة للتعبير عن كل ما يختلجها من معاناة وتحدٍ ومن ألم تنشد أن يتحوّل إلى أمل في غد مشرق، تقول:(حساني، 2015، صفحة: 17)

تناهيتني خيوط الريح مبعدة عني التشبث فيما قد يكون غدا

ضوء بأقبية النيسان يومئ لي لمي الصباح ألا يكفيه ما فقدنا؟

فالعنوان "أغنية تشبهي" اتصال للشاعرة بذاتها، كأني بما تريد القول إنّ الديوان تعبير صادق عني وعن حالتي الشعورية التي أعاشتها.وقد اختارت الشاعرة لأغلب عناوين القصائد في الديوان، الجمل الاسمية الدالة الثبات والاستقرار وهو استقرار لآلام ووجع تعانيتها لم تغادرها في كل صفحات وقصائد الديوان، امتزجت فيها الآلام والوجع الشخصية بسبب فقدانها والدها وما يجري حولها من آلام الأمة العربية في الشام فكانت أحاسيسها موزعة بين ذاتها والآخر ممثلا في شعورها القومي مما جعل حالتها الشعورية النائية والمضطربة والحائرة بسبب كثرة المواجه والآلام تستقر فيها ولا تغادرها،ومن عناوينها (وهم - غربة- دمعة طفل عربي- كأني أنا...) تحرك بها وجدان القارئ بلغة تعتمد على الحوار النفسي المتضارب في أسطر النص الواحد.

### 3. اللغة الشعرية في ديوان أغنية تشبهي:

تظهرت ألفاظ القصائد وفق حقول متعدّدة تفسح للتعبير فرصة التراوح بين الكبت والغموض و المعاناة والمتتبع لتطور الشعر النسوي يلحظ أنّ جل الدواوين الشعرية مشبعة بأهات وكلوم أنثوية قلقة كاشفة حدة التوتر، فجاءت القصائد "صرخة نسوية" تسربت عبر الذاكرة حاكية حلما مرجوا غير بعيد»(عامر، 2004، صفحة: 101)

وقصائد لطيفة حساني في ديوان "أغنية تشبهي" «باكية تكاد تنفطر حزنا...قصائد نضدها الديوان ليكون مدادها من دمع الروح الذي ينسكب في صمت على الفقد كلّ، أي كان نوعه ولونه... لأننا سنجد بها تطوفا على كل شيء جميل مفقود... سنجد بها حسرة الشباب على الحياة الكريمة..على خيبات الربيع الذي جاء مسريلا بالدماء والنكسات»(حساني، 2015، صفحة: 8)

تقول الشاعرة في قصيدة "آه يا شام":

وصبيّة نامت تؤنسها الدمي وصباها بين المنية والرجام.

نلاحظ كيف تعبر عن معاناة إخواننا في الشام وحرمانهم حتى من أحلام الصبا بحكم الموت الذي يهدد أمنهم ويلحقهم في يقظتهم وفي أحلامهم حتى قتل فيهم كل أمل في العيش عيشة هنية. (حساني، 2015، صفحة: 20)

وتقول في قصيدة "معاذ الصمت" (حساني، 2015، صفحة: 32):

كم انتظرت قدوم البحر حاملة      وها أتى البحر سباقاً لإغرائي .

فالشاعرة تصف واقعا مريرا سواء كان واقعا العربي أم واقعا نفسيا تمرّ فيه بحالة من التيهان والضياع، وربما يعود ذلك لفقدانها والدها مصدر الأمان والاستقرار ورمز الحنان ؛ فهي تعاني «خيبة الغد العربي الذي حلمناه حلما خبيثا في ثنايا كل أم ولدت لتدفع صغارها إليه ، وحلم كل أب كدّ ليكون اليوم أجمل من الأمس، وليكون الغد أحلى منهما جميعا» (حساني، 2015، صفحة: 08)

ونجدها أيضا تقول في وصف واقعا إخواننا بالشام مستحضرة ماضيهم الجميل والمشرّف (حساني، 2015، صفحة: 19):

ياذاها للشرق سلّم لي على      ماض توّسد قلبي الدامي ونام

سلّم على كل الزهور وكل      قبر كان بشري المحبّة والوفام

ونجدها تعبر عن بكاء الفتاة التي افتكت منها الحرب والدها الحاني والمدافع عنها تحت أغاني الرصاص بلغة شعرية جميلة تحوي إشارة إلى كل معاني الأسى والحسرة والخوف، تقول: (حساني، 2015، صفحة: 24)

أختي بكت من ذا يكفكف دمعها؟      وأي وأمي فضلا عنّا السفر

### 1.3 اللغة بين المعيارية والإبداع في ديوان "أغنية تشبهي":

وبالرجوع إلى عنوان الديوان الذي يمثّل عنوان إحدى قصائد الشاعرة فإنّ اختيار لفظة أغنية جاء تعبيرا عن حجم المعاناة التي يشهدها واقعا الشاعرة لطيفة حساني بين حضور الموت للقريب أو البعيد وبين أصوات الرصاص المللع في بلداننا العربية، فجعلت ذلك الواقع مطبوعا على نفسيته التي تعاني صراعا داخليا مع الذات وروحة وجيئة تتضارب فيه الأفكار وتتشتت وتعود للالتزام والاتفاق على إنشاد أغنية الحياة والتمسك بلحن الحرية في ديوان عنوانه "أغنية تشبهي".

فلا شك أنّ وظيفة العنوان الرئيسة هي «إثارة فضول القارئ» (رحيم، 2010، صفحة: 23) أو كما يقول "بارث" «فتح شهية القراءة»، وهذا ما لاحظناه في عنوان "أغنية تشبهي" الذي تعقد فيه الشاعرة قرانا بين الخبر وجملة الصفة في ظل غياب المبتدأ من البنية العميقة.

فالأغنية إشارة إلى دندنة شعرية تُلقى للقارئ ليتبّع نغماتها ويستكنه مفرداتها ويقيم سمفونياتها الإيقاعية، وهي خبر محذوف ما قبله، فالتركيز إذن على جملة الصفة «فكل النعوت والصفات كان لها الدور الأساسي في تحديد اتجاه الخبر وموضعه حيث أراد الشاعر، ولا نغلو كثيرا إذا قلنا إن موضع القصيدة يتحدّد تبعا للصفة لا الخبر»، فقد أحالت الشاعرة لذاتها وكأني بها تريد أن تقول: إن هذا الشعر المضمّن في الديوان يعكس حالتي الشعورية والنفسية، وهي حالة تتسم بالضياع والتهيان وتحاول فيها محاكاة الواقع الفج الذي آل إليه المجتمع العربي (حالة اللاتماسك واللاشعور)، تقول في قصيدة (أغنية تشبهي): (حساني، 2015، صفحة: 17)

دمعي قصيد ووجهي وجه أغنية      مازلت أنثرها تجمع الخلدا.

فالصفة وردت جملة فعلية مضارعة تتحرك في سراديب الألم تشد طلوع صبح بملأ ذاتها أملا وانبعاثا نحو مستقبل يضمّد جراحها، فالصفة مسيطرة على العنوان في تشابهما مع ذات الشاعرة «ذلك أنّ تسمية القصيدة بالأغنية أمر ألفتته العرب، حتى إنهم سمّوا الشعر غناء وقالوا: غنّى بالشعر وتغنّى به» (رحيم، 2010، صفحة: 192) وعليه فإن تسمية القصيدة بـ "الأغنية" ليس أمرا مستحدثا ووجودها لا يمنح للعنوان دلالات إضافية غير معناها الحقيقي، لكن ذلك لا يمنع من حضور فرق بين دواوين الأغاني وغيرها من الدواوين.

### 2.3 التكرار:

من المعاني المترددة في قصائد الشاعرة ما يعبر عن المعاني النفسية فيما سميته الحس المأساوي في ديوانها، وهي معان كثيرا ما تتكرر فيها نبرات الحزن والأسى والأين وفق أنساق تعبيرية تعكس المستويين الصوتي والدلالي.

والتكرار إحدى الظواهر التي تثبت المماثلة في البناء داخل النص الواحد كونها تبرز القيم الشعورية لأجل التأثير في القارئ وإحداث توازن موسيقي، كما فيه التركيز على كلمات محددة قد تمثل كلمات مفتاحية أو رموزا تبثها الشاعرة سواء كان ذلك شعوريا أو غير شعوري، ومن الدوال المتكررة في ديوان "أغنية تشبهي" الموت والبكاء والدموع واللاجئات، والنخيل، والحلم، والناي، والطين والبجعات والسماء والنجم والمطر وغيرها..، ولكل منها معانيه الخاصة.

فبالنسبة للجمل المكررة فقد انحصرت على تلك التي تحتمل معاني الموت والرحيل والغياب، تقول في قصيدة (عزف الرحيل) (حساني، 2015، صفحة: 37، 38):

بسمتي وقت شريد

ليس يأتي

ولقاء ليس يأتي

وطريقا ليس يأتي...

أو قولها في قصيدة (بعد موت الطير)

كل هذا بعد موتي ... هو شرط بعد موتي.

فهي تكرارات لفظية تشير إلى دلالة الموت في قصائد الديوان التي غابت عنها بسمة منتظرة تتسرب من ثيايا الغد المنتظر، إنهما الأمل المفقود الذي يكدحه الموت ويعترض طريقه.

وأما ما تكرر من دلالات بين ثيايا القصائد على تنوعها فقد جاء رموزا مشحونة بمعان كثيرة تبث رمزيته، ومن ذلك قولها (حساني، 2015، صفحة 10):

للطين ذاكرة النخيل ثقافة المتفرد المكتظ بالأهواء.

أنا بسمة الطين المضيء رسالة الغيم المسافر في أقاصي الماء.

وتقول في تكرار لفظة (الناي):

وورثت حزن الناي حتى كنته لأقص عنه... أنة الشعراء.

وفي تكرار رمز (البجعات) تقول في قصيدة (غربة) (حساني، 2015، صفحة: 27):

تترنم البجعات ملء غيابها والبحر للشجو المسافر حنًا

وتقول في قصيدة (كأني أنا):

لأغنية البجعات عزفت

وحيتتنبياالصدا وانصرفت

تنفّسني السحر بعد رحيل المراسم

ولو أمعنا النظر في المفردات المكررة لوجدناها رموزا محملة بمعان فياضة لها دلالاتها وإيحاءاتها المساوية التي لا تخفى على أي قارئ، فتوظيف لفظة (الناي) في القصائد لم يحدث اعتباطا بل لعلاقة قائمة بين الحزن وصوت الناي المنبعث في الأجواء مفرغا هموم النفس في الفضاءات الرحبة التي ضاقت بمشاكلها ومآسيها عند الشاعرة..

### 3.3 أثر الضمائر في شاعرية اللغة في ديوان "أغنية تشبهي":

حاولت الشاعرة وهي تصف صراع البقاء والفناء، وصراع الذات مع واقعها اللعب بالكلمات والإشارة لذاتها الإنسانية مركزة على توظيف ضمائر المتكلم بكثرة في القصائد، ومما تجدر الإشارة إليه أسلوب المبالغة في توظيف "نون الوقاية" التي يفترض أنها تفصل بين الفعل وياء المتكلم، إلا أن الشاعرة اختارت توظيفها للفصل بين ضميرين دالين على ذاتها وهو أمر لا يحضر في اللغة أو سننها، والغاية من ذلك الإشارة إلى ضمير الأنا أكثر ولفت انتباه القارئ، ومن أمثلة ذلك قولها (ينظر الديوان: ص10):

قديسة جاوزتني حتى تمراتني ملامح مريم العذراء.

فهو تركيب غريب يثبت ضمير الأنا الذي يصور ذاتية مفرطة تبرز حرف النون للعيان أكثر، يجعل من التلاعب بالكلمات صراعا بين الضمائر يؤكد قضية الشاعرة وهي قضية صراع الأنتى ووجودها. (العفيف، 2010، صفحة: 109)

وهو أمر يتعلق بما كذات أنثوية تكثف الضمائر لإثبات حضورها الشعري أي كان موضوعه أو أسلوبه، ولقد أشارت الشاعرة إلى صفة القداسة الأنثوية ممثلة في صورة مريم الطاهرة بكل ما تحويه الصفة من معاني البراءة والطهر والنقاء والإيمان..

### 4. البنية الإيقاعية في ديوان "أغنية تشبهي":

1.4 البحر: تعكس البنية الإيقاعية شدة التوتر والحزن، وتتراوح بين الهدأة والانفعال في تصوير الحالة النفسية الثائرة أو المنكسرة أو الغاضبة، تقول في قصيدة "دثرت قبرك" (حساني، 2015، صفحة: 30) نظما على بحر البسيط الذي تكرر في أغلب قصائد الديوان:

دثرت قبرك من دمعي وأطاعي متى يجود الشرى هذا بإسماعي.

نعم سأبقى أمام القبر صامته حتى تحاورني يا كلّ أوجاعي.

قالوا تولى فخلت القول ترهة من ذا سيفلح يا قلبي بإقناعي.

والملاحظ أن النظم على بحر البسيط جاء بانسيابية مرتبطة بخاصيتين هما: (لراوي، 2005م، صفحة: 7)

#### 1.1.4 الشكوى الهادئة.

#### 2.1.4 الإذعان لما قدّر له.

"وكلاهما يؤديان إلى الهدوء والسكون، وعدم الحركة" فتلاحظها حركة راکدة تسترجع أوجاعها بهدوء واستسلام، جعلها تتمنى الموت، فهو خفوت نفسي يركن إليه الشاعر بعد معركة تتراوح بين الشعور واللاشعور.

وهو ما تثبته في نص آخر (نغريبة التوليب) (حساني، 2015، صفحة: 30) جاء على بحر الرمل:

ليتني أكملت في اللاوعي فكري وتجلي الوهم في وجه ارتيابي.

ليتني في غربة ما لم أكني وتولت زفرتي عند ارتكابي.

فتنوع الأبحر الشعرية نتيجة لتنوع المواضيع التي تطرقها الشاعرة لأن "التنوع في أوزان القصيدة يعطي للتجربة الشعرية [...] قوة التصوير وصدق الرؤيا، وينعكس على الألفاظ التي تنتمي بعضها إلى الأصوات المجهورة التي توحى بالحركة، كما تكثر حروف المد في حالة التوتر النفسي، وهذا يعطي فرصة للذات المتعبة من أن تخرج زفرتها الوجدانية الخزينة كاملة فتحدث اهتزازا لدى المتلقي. أما في حالة الهدوء النفسي؛ فإن الأصوات المهموسة تشكل نسبة عالية في النص الشعري.." (لراوي، 2005م، صفحة: 2)

#### 2.4 الأصوات والأوزان:

وأما بالنسبة لألفاظ الشاعرة المبتوثة في قصائدها فهي مراسيل الوجدان بكل رؤاها وأحاسيسها، تحملها اللغة الشعرية ممثلة في أوزانها وقوافيها، فتندفق الأغراض والمعاني النفسية خلالها لتعبر عن ثورتها بأسلوب شعري بارع، فلقد راعت الشاعرة في اختيار الألفاظ والقوافي توظيف الأصوات المجهورة والمهموسة التي تبوح بالذات الهادئة في تمظهرها الغاضبة في مشاعرها المتقدمة وفي أوصافها تقول في قصيدة (بعد موت الطير) (حساني، 2015، صفحة: 35)

كان للطير رسالة...

خطها من ذكرى دمعة زمان ما تمنينا زواله.

لّفها لفا برينا ثم طار..

لم يكن يعلم أن الأفق كون من حصار..



وتجلى من ضجيج الصمت من خلف الدهول

يتماهي

يتشظى في انفراد الكل يا بعض الأفول

هاهنا أرض أضاعت ما عليها من جميل

أخذ الطير الرسالة رجاء وكتابا ونصائح

هو درويش كمثلي لم يكن يعلم تكتيك المسارح

لم يكن يعلم أن الكف نفس الكف تردي لتصافح..

فالطير رمز للذات الساذجة التي تغتالها حيلة البشر، لا بقاء للمثل والقيم سوى التعنت والبقاء للأقوى.

ويقابل تلك التوظيفات حضور حروف المدّ الدالة في أبعادها الصوتية التعبيرية على بوح يتردّد بين الشفاه فيتسرب ليسرد وجع

النفس، تقول في قصيدة (غربة) (حساني، 2015، صفحة: 27)

جرس على باب افتراضي رنا أتراه جاء الحبّ يسأل عنّا؟.

هل سنديان العمر يوما يكتسي أم يرتديه البرد عضنا غضنا؟.

الدهر قال وكان أصدق قائل أويدرك الإنسان ما يتمي؟.

#### 3.4 القافية:

ولا تغيب لغة الكبت والانقباض عن أسلوب الكتابة الشعرية عند لطيفة حساني فتظهر في الأصوات المتكررة بانتظام آخر الأبيات

فيما نسميه القافية، وكثيرا ما تجعلها الشاعرة مقيدة لتصف بها الحس المأساوي المتصف بالانسداد والانغلاق محملا بشحنة نفسية تثير

أثرا في نفس قارئها. رغم سبقها بحرف الألف الممدود الذي يومئ باتساع ينتهي إلى انغلاق نفسي كئيب، وهذا ما تجسده قصيدة (آه يا

شام) (حساني، 2015، صفحة: 15):

يا شام أبقيت السلام فردّ دمع الياسمين بصمته جف الكلام.

الموت أسرع من ردود سلامكم يا عرب مّتمم مثلما مات السلام.

5. الحس المأساوي بين الذات والآخر في ديوان " أغنية تشبهي ":

1.5 وقفة مع الذات.. ووقفة مع الآخر:



تقف لطيفة حساني مع ذاتها وتحاول كشف ماهيتها وفهمها موظفة ذلك في قصيدتها التي جعلتها عنوانا لديوانها (أغنية تشبهي) وفي قصيدة (كأني أنا)، فنجدها ذاتا ضائعة تختلط عليها التعابير لتضطرب وتتردد في عديد من المواضع، وكأن القارئ أمام جمع من الشخصيات المتضاربة التي تبحث تارة عن الذات، وتارة عن الوطن، وأخرى عن اللاجهات في تمام غريب.

تقول:(حساني، 2015، صفحة: 21)

حلما جديدا

يبعثني فيه ضوءا بلا وجهة

وبعد رحيل النوارس

رأيت الشواطئ حيرى بأهزوجة من سكوت

رماد الحكاية يلعن نيرون

حد بكاء المدن

فيا ضائعا منك ماذا الثمن؟

والملاحظ يستشعر أن ذاتها تنعكس على كل شيء تراه وتسمعه، وتقرؤه، بكل ما علق بها من غبار الحياة فحوّلها. من زاوية نظرها. إلى امرأة يسقط عليها وينعكس كل شيء بشفافية وصفاء توصلت بهما إلى الهئية الرمادية فوظفت حاسة اللون، ووظفت الشفاه التي تعزف بها لحن الحياة، ووظفت رمز (نيرون) الدال على الملك الطاغية الذي قتل شعبه بكلّ وحشية وقهر وعبودية، واصفة حالة البكاء التي لا تغادرها (تجهش، . حدّ البكاء دمع...)، كلّ هذا وهي تعاني حالة من التيهان، تقول:(حساني، 2015، صفحة: 22)

تغني بأصدائي الحاملة.

تدور المرايا.

تدور...

تدور...

فكلّها وقفات تعبر عن الذات الإنسانية وما يتلبّس بها من مشاعر الألم والتشاؤم والتهيب والغربة والأسى والأنين. ولم يظهر الآخر في ديوان "أغنية تشبهي" بالنحو الذي عهدنا في الشعر المعاصر، وما ورد في خطابات الشاعرة عن الآخر كان حديثا عن صورة الأب الذي سجلت قصائدها في رثائه والحزن عليه، مركزة في خطابها على ما يخرجها من ضائقة الصمت والهمس والمناجاة والحزن والأنين، فاشتعلت ألفاظ القصائد حرقا لفقدان الأب الحاني، ووصفا لانكسار الذات، وهي دموع تعكس الحسرة الشديدة في قلب الفتاة التي غاب عنها طيف والدها، والتي تحتضن دميتها ليلا لتتناسى آلامها، وتخفي دموعها، وتكتب مشاعرها التي

تفيض عاطفة، كقولها في قصيدة (ما خلته حلما)(حساني، 2015، صفحة: 33)

وأتييت في الرؤيا كأن لم تبعد حيا بكون مذ رحيلك لم يعد.

صدقت رؤياي الجميلة إذ بها ضوء يبدّد مبتغاي إلى الأبد.

أبتاه عدت بدون شيء يا أبي وغدوت طيفا من زمان مفتقد.  
مطر الخريف أتى كمثل عهوده يبكي موات الأغنيات وما وجد.  
وحدي أحاكي اللاوجودك والدي لتعيدي الذكرى لصمت يتقد.

إنّ اللغة التعبيرية في شعر لطيفة تجعلها تعدد المدلولات لتعدد المقامات الخطابية التي تدل على الاحترام والتقدير في قولها (أبتاه)، وعلى السند والركيزة والانتماء والحماية في قولها (أبي) وعلى الالتزام والتأدب في قولها (والدي)، لتأتي دلالة الشوق والحب والعاطفة والتعلّق في لفظة (بابا) في قولها: (حساني، 2015، صفحة: 29)

أوكلّما أوغلت في النسيان تصرخ دمعناي بلا شعور بابا.

يقول حبيب مونسى في ذلك: "... ومن أنثى تقف على عتبة بابا دارها ترثي الوطن ... وترثي الحلم... وترثي الأب الذي كان يحمي وجهها وظهرها...إنّه ديوان اليتيم بالمعنى الجديد لليتم والفقيد، كلّ قصيدة فيه تحمل هذا الأنين الخافت الذي ترسله الأنثى، وقد انكسر عمودها، واتخذت ركيزتها...، لا شيء من صراخ سوف يعيد لها شموخها... الأنين ربما سيدفع عنها تهمة الصمت... سيسجل قصيدتها في دفتر الرفض...يوما ستعاد كتابتها من جديد قصيدة للنصر" (حساني، 2015، صفحة: 9)، فيأى جانب الحديث عن الأب نلمح حديث الشاعرة عن الأخت الصغرى في قصيدة عنوانها (عيشا).

## 2.5 نبرة الحزن وأثرها في ديوان "أغنية تشبهي":

إن دلالة الحزن (الحزن مصطلح في الشعر المعاصر) تقابل دلالة مصطلح الرثاء قديما، وهي دلالة ارتبطت بالشعر النسوي منذ القديم وحضرت في شعره الحديث والمعاصر "لكن في الشعر المعاصر قد يكون الحزن حلّ محلّ الرثاء، هذا الحزن الذي يتخذ طابعا فلسفيا أحيانا نشعر معه أنه ملتصق بالمرأة أينما حلّت، فقدما كان الرثاء، والآن الحزن مجرّدا (مع ملاحظة أن الشعر المعاصر لا يقسم الأغراض الشعرية على ما سارت عليه في القديم) فضلا على أن الحزن لا يستقل بقصيدة، وإنما هو مبعوث في ثنايا القصيدة" (العفيف، 2010، صفحة: 177)

وأكثر ما يغلب على شعر لطيفة حساني في ديوانها "أغنية تشبهي" هو النبرة الحزينة المتشائمة من الأمس المرير المتطلّعة إلى غد أفضل يعلوه الأمل والإشراق، بعيدا عن نائبات الدهر وعن خلجات الصدر التي ضاقت بها النفس وتعبت منها، فهي كأى أنثى تبحث عن الطمأنينة والاستقرار، وهذه النبرة الحزينة ليست خصيصة بها فقط بل هي حاضرة في نصوص الشاعرات المعاصرات اللاتي "يكثرن من التعبير عن الألم، واستعدابه وتقديسه، وقد يرتبط ذلك بطبيعة حياتهن البيولوجية التي يتعرّضن فيها إلى كثير من الآلام والمتاعب، كما أنّ الشعر النسوي مشوب بالعاطفة، التي تحلّ فيه مكان العقل والمنطق، ويمتلئ كذلك بالأحاسيس والمشاعر التي تدل على عدم رضا النساء بالحياة في عالمهنّ، والقلق الدائم من المجهول، والمرأة ترحب بالألم ورموزه، وتنشأ عن هذا الترحيب علاقة راسخة بين المرأة والحزن" (العفيف، 2010، صفحة: 119). وزيادة على ما ذكرناه من دلالات الحزن عند الشاعرة في فقدان أبيها، نذكر قولها في قصيدة

(وهم): (حساني، 2015، صفحة: 16)

يا قلب سرت على مدى الأوهام

تختلس المنمنن نفس أقبية الأسى ما أوثقتك

ذوّبت في نهر الترقّب دمعتين تذكّران الأّمس.

يا للأّمس ...

فذلك تصوير لحالة التيهان والضياع. تقول واصفة شدة الانكسار الذي آل إليه العربي في قصيدة (عزف دمشقي): (حساني، 2015، صفحة: 26)

ماما إذا جاء الصباح ولم يجدني لا تقولي إخوتي قتلوني.  
لا ضير إيّ في النعيم وإّما أخشى عليهم من غد ملعون  
إن كان موتي من صنيع أقاري كيف الملام على بني صهيون؟.

لقد جاء الخطاب على لسان الفتى الصغير الذي ذاق الهم وعرف الحزن ومعنى الغدر قبل أن يكبر، فقد فرضت عليه الظروف الكبر قبل الوقت فعاش عمرا غير عمره وحالا غير حاله. وهو تصوير يعكس الحالة النفسية التي بلغت بالطفل الصغير أشدها فراح يتحمّل سنا وهما أكبر منه، فوصفته الشاعرة خائفا من الغد لا يأمن فيه القريب أو البعيد.

## 2.5 المكان ودلالاته المأساوية في ديوان "أغنية تشبهي":

عبّر المكان في شعر لطيفة حساني عن الأصالة والحنين إلى الوطن فجاءت القصائد دالة على معاني الغربة والوهم والتشتت العربي... فمرة تنزع فيها إلى ذكر موطنها المحلي ومسقط رأسها، وتارة إلى ذكر موطنها القومي الذي ركّزت في حديثها عنه على أحداث دمشق وما آلت إليه الأمور فيها.

فالمكان هو الوجود الذي ينتمي إليه الشاعر وبه تتكون شخصيته فهو "ابن بيئته بأحداثها وتاريخها وهمومها وآلامها وآمالها... يتأثر بالحاضر والماضي حسب قربه أو بعده عنهما وهو يتدرّج في أطوار حياته، تنطبع فيه تلك الآثار، وعندما يصبح مبدعا (في أي مجال) فإن إبداعه يكون وليد سياقات اجتماعية وإنسانية وبيئية، بالرغم من صدوره نتيجة الخبرة الذاتية والمعرفة الجمالية والتجارب التي مرّ بها" (خرفي، 2006م، صفحة: 111)

وذكر الشاعرة لكلّ تلك الأمكنة في الديوان تعبير عن مشاعر دفعها الحنين إلى استنطاق القلم فيها، فهي كأبي شاعرة تأبى الواقع المعيش الذي تشهده بلدان العالم العربي فتجاوزت كل الحدود الجغرافية وأخلت الساحة للقلم الشعري الذي ينتج دلالاته وفق معطيات نفسية وذاتية تخرج إلى تجسيد المكان في نصوصه الشعرية في ثلاثة صور:

1- سيدي عقبة (مسقط رأسها): ترنيمه إلى أرض عقبة، وجه من نخيل عقبة.

2- جزائر الروح.

3- دمشق النازفة الباكية: نرف دمشقي، آه يا شام، دمعة طفل عربي.

وفي الصورتين الأولى والثانية تظهر صفات الأصالة والانتماء للأرض، حيث اختفت فيها نبرة الحزن والمأساة واستعادت الروح مهجتها بحديثها عن بلدها مبينة اعتزازها به وبالانتماء إليه تقول في قصيدة (جزائر الروح): (حساني، 2015، صفحة: 12)

من قفرة اليأس أو من ديمة الجلد  
جزائر الروح يا غيما يهددني  
إليك يحملني الإخلاص يا بلدي.  
أنت اخضرار حروف الوجد في شفتي  
حلما يسافر بين النار والبرد.  
أنت الجزائر يا أنشودة الأبد.  
يا جنة زرعت في الجدد الولد.

وفي قصائدها عن مدينة عقبة الفهري تصف القمر والسماء والنخيل والماء... إذ العلاقة بينها وبين المكان علاقة عميقة مرجعها الأصل ومنطلقها الهوية التي تتشعب من المكان لتصل إلى وصف الجزائر.

ثم عادت بعد هذا النص إلى الانغماس في حسنها المأساوي مشيرة إلى ما ناب الطفل العربي الدمشقي فراحت تشاركه أوجاعه ويتمه وهمومه وذرفت معه دموع القصيد تقول في قصيدة (دمعة طفل عربي): (حساني، 2015، صفحة: 12).

الأرض مقفرة الملامح والصور  
طفل على ثلاث خيبتنا يفتش  
من أين لي أفق لأغنية المطر.  
بين طين وجودنا لأين البشر.  
لا وجه يرشدني لمخباً لعبي  
فجميعكم درب يسير إلى الخطر

فما قدمه السياب من أغاني المطر لم تعد تجدي اليوم نظراً لتأزم الأوضاع أكثر فالمعاناة صارت أضعافاً إلى حدّ تعجز الكلمات عن وصفه فاخترت الأسلوب القصصي الحواري لتبدي ما يظهره المستعمر من فرقة وشتات ونزف لا يلتئم...

ثم تبعث بين القصائد آهة تحوي دمعا عن الشام الجريح الذي فاحت دماء أبنائه باسمينا يملأ الربح، تقول في قصيدة (آه يا شام): (حساني، 2015، صفحة: 119)

كانت كمثل الشام أحلام الصبا  
يا ذاهبا للشرق سلّم لي على  
ضوءا يسافر في غد من ابتسام  
سلم على كل الزهور وكل  
ماض توسد قلبي الدامي ونام  
قبر كان بشرى للمحبة والوئام  
يا جمر الزمان فدع فؤادي في سلام  
كان المكان معارجاً للحسن

وبناء على ما تقدّم فإن أغلب لغة الديوان سيطر عليها الحس المأساوي ممثلاً في أصواتها وألفاظها وعباراتها المكررة وبنائها الإيقاعية، كما ظهر الحس المأساوي في الرموز الدالة على صفات الحزن واليأس والتشاؤم والهروب من الواقع والعودة إلى الماضي في محاولة بحث عن الغد الأفضل، ونشير أخيراً إلى أن اللبنة المأساوية كانت مدعومة في النصوص الشعرية بمجموعة من التناسات التاريخية والأدبية والدينية، تقول الشاعرة في قصيدة (للماء عزف آخر): (حساني، 2015، صفحة: 19)

بي صرخة السياب غصّة صمته  
غرناطة شهقات لوركا لم تنزل  
جيكور يا جرحا بلا ميناء  
أصغي لصوت الأنبياء بداخلي  
عزفا تهدلّ من دم الشعراء  
يراقب هدهدا لو عاد بالأنباء  
يتلو وصايا الأرض بالإيحاء

فالشاعرة في صراع البحث عن الذات والوطن تبعث صرخة السياب وتحييها في حديثه عن قريته جيكور مرتع راحتته وملهمته أفكاره، وأشعار لوركا التي ذابت في غرناطة حبا وتعلقا، وبلقيس الباحثة عن اليقين في صورة الطائر، وفي مواضع أخرى وظفت "قاييل" الذي تعدى على حقوق أخيه وسلبه الحياة بسبب الغيرة والحقده غير مدرك لما يفعل.. كلها رموز حاضرة لنصوص غائبة وظفتها للتعبير عن حزنها ومعاناتها وألمها، كما يبدو فيها انتظارها لنبا سعيد فيه أمل وخبر جديد مثلما كان مع الهدهد في قصة سيدنا سليمان مع ملكة سبأ.

## 6. خاتمة

نخلص في ختام هذه الدراسة التي عالجنا فيها الحس المأساوي الذي ميّز شعر المبدعة لطيفة حساني في ديوانها "أغنية تشبهي"، أنها اتسمت في هذا الديوان بالذات بنيرة حزن عميقة، تعبر عن جراح وآلام عانتها ولا تزال في حياتها، وانعكست في شعرها، فتميّز أسلوبها الإبداعي ولغتها فيه، بأن عبر بصورة صادقة عن أحاسيسها. ويبدو أن الشاعرة قد أبدعت في تطويع اللغة لخدمة آهاتها وأحاسيسها ومعاناتها، بحثا عن ذاتها ووطن تستقر فيه، بما يحمله من رمزية تتجاوز الحدود الجغرافية لمفهوم الوطن.

وقد استخدمت المبدعة كثيرا من قضايا اللغة نحو المجاز والمفارقة ببراعة واتخذت منها وسائل للتعبير عن مشاعرها وآهاتها وأحزانها وآلامها وآمالها التي شكّلت مجتمعة ملامح بارزة لحس مأساوي يميّز اللغة الشعرية للشاعرة.

## قائمة المراجع :

### المؤلفات:

- رحيم، عبد القادر. (2010). علم العنونة. (ط:1). دمشق/ سوريا: دار التكوين.
- العفيف، فاطمة حسين. (2010). لغة الشعر النسوي العربي المعاصر. الأردن: جامعة جرش الاهلية.
- حساني، لطيفة. (2015). ديوان أغنية تشبهي. (ط1). الجزائر: دار ميم للنشر والتوزيع.
- خربي، محمد الصالح. (2006م). جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر. قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة: جامعة منتوري.

### المقالات:

- عامر، رضا. (2004م). سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد:7، ص:101.
- لراوي، سعيد. (2005م). أثر الحزن في البنية الموسيقية الشعرية عند بدر شاعر السياب. مجلة الأثر، المجلد:02(4)، 7.